حُب .. لكنه أسود

بقلم: أحمد محمد علي صوان
سورية

في خطوة جريئة وحكيمة قرر مدير المدرسة مكافأة مادية مجزية ومعنوية لمن يقدم بحثاً جاداً قابلاً للتطبيق في المدرسة. أثار هذا القرار شهية ثلة من المدرسين فسارعوا يختارون موضوعات تتفق مع شروط المسابقة.

كان عبدالعزيز مدرسا ذا سمعة حسنة وأداء متميز، وكان محبوبا ومقدرا من الإدارة وزملائه وأولياء طلابه، حتى حارس المدرسة، إلا الموجه، على الرغم من المحاولات المتكررة التي طمأنه فيها أنه لا يسعى لترك التدريس والوصول إلى التوجيه، وأنه لم يفكر قط في مزاحمته على منصبه الذي وصل إليه مصادفة.

هذا المفتش كان مستعداً أن يعادي والده من أجل المنصب الذي رآه تشريفا لا تكليفا - كما صرح بذلك في ملأ من المقربين-، وبما أنه وصل إلى هذا المنصب بهذه الطريقة فقد سعى ليثبت أقدامه المريضة بأساليب ملتوية..

تقرب من عبدالعزيز وغيره، وكان لا يفتأ يكرر: أنا واحد منكم، قولوا رأيكم نتناقش بصراحة، نحن إخوة، أنا أوصل أفكاركم وتجاربكم إلى الإدارة.

وكان لا يكتب شيئاً بنفسه، بل يكلف بعض الأساتذة بالكتابة راجيا ذلك بكلمات معسولة لن تلبث أن تظهر حقيقتها! ثم يعطي هذه الكتابات إلى الأستاذ عبدالعزيز ليضع فيها ثمرات خبرته، ثم يعرض على الملأ مذيلة باسمه، تواضع مصطنع، روغان كروغان الثعلب بل أشد، ابتسامة صفراء يلقيها على وجهه، استعداد تام لتقبيل الأيدي وما دون ذلك بلا قيد أو شرط.

لم يمض على ذلك وقت طويل، حصّل فيه هذا المفتش كثيراً مما عند الآخرين فانقلب وجهه وأسلوبه: دعوة إلى الاجتماع بطريقة مقززة مستعلية، لا أحد يكمل جملته أمامه، لا كبير في مجلسه على الرغم من حداثة سنه.

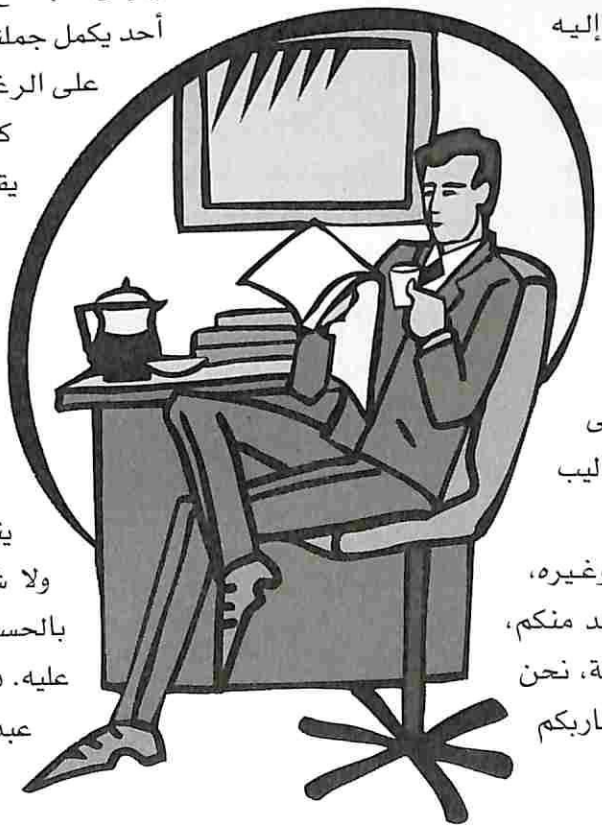

كان الأستاذ عبدالعزيز على يقين مما سيتحول إليه هذا المفتش المحب! لكنه - مع ذلك - لم يكن ليتعامل مع هذا الكائن إلا بهذه الطريقة السليمة، فأمه أرضعته الحليب الأبيض!

وبما أن عبدالعزيز لا ينتظر من هذا المفتش حمدا ولا شكورا، فقد بقي يعامله بالحسنى، وكثيرا ما كان يشفق عليه. ففي المرات القليلة التي جلس عبدالعزيز في مكتب هذا المفتش كان هذا الأخير يشكو له

ضغط العمل والطلبات التي لا تكاد تنتهي، وأعجب من ذلك أنه يحسب كل صيحة عليه، فعندما سمع مناداة في الممر حسب نفسه المراد فهب فزعاً، لكنه لم يكن المقصود، وما أن عاد أدراجه حتى ناداه رئيسه فهبّ واقفا، وتمتم بجمل متنافرة مضطربة قذفها في أذني عبدالعزيز ومضى. ولا تسل عن هيئته معه وكلامه وانكساره، أما عند عودته من لقائه القصير فحدث ولا حرج. أتعرف هيئة من خرج من معركة خاسرة ؟ همّ وانكسار وهزيمة. كذلك صاحبنا وزيادة : خفقان قلب، واضطراب في وجهة السير، لا يهتدي إلى وجهته إلا بعد خطوات، يصحح مساره مع ابتسامة مصطنعة يرسمها على وجهه إذا رآه أحد المارين بهذه الصورة.

وبحكم النظام فإن هذا المفتش سيكون من أعضاء لجنة تحكيم البحوث، فرتب أموره مع بعض الموجهين الذين انتسب إليهم وهم غير مقتنعين به، أعد الأمور معهم، ولكنهم لم يوافقوا على استبعاد بحث عبدالعزيز المتميز والمحقق للشروط، فما كان منه إلاّ أن أمطرهم بفكرة شيطانية : سيتغيب عن الاجتماع وبذلك سيهمل بحث عبدالعزيز ويستبعد البحث تلقائيا، وتدرس البحوث في الفنون الأخرى. ولم يكن من عادته قط التغيب عن اجتماع، ولو كان مريضاً يجيء يتهادى بين اثنين، كيف؟ اجتماع ولا يحضره؟!

تقدم الفائزون للسلام على المدير والموجهين وتسلّم الجوائز، جال مفتشنا السعيد المنتصر ببصره بحثا عن عبدالعزيز، ألقى إليه نظرة يصعب وصفها!.

تمتم عبدالعزيز: سامحك الله يا أمي!■

الخيبة المباركة

شعر: فيصل بن محمد الحجي- سورية

شيطاني المهزوم يبكي لي
مسح الدموع بألف منديلِ
قد جاء يدعوني لمعصية
والنفس تغريني بتسويلِ
والشهوة الحمقاء جامحة
لا ترتضي من غير تنويلِ
والفرصة الغراء سانحة
لا تشتكي من أي تعطيلِ
سطع التفاؤل في مخيلتي
وأضاء دربي بالقناديلِ
كل الموانع لا وجود لها
ما بين مشروع ومعقولِ
حتى العقوبة قد خلا قلبي
من خوف تعجيل وتأجيلِ
لكنها كاللمح قد غربت
وحُرِمْتُ من أوهام تأميلي
المرء يرسم في الخيال وفي
لوح القضاء زوال تخييلِ
والله يحفظ من يريد به
خيرا .. بحرمان وتكبيلِ
ولذا رجعت بلا النوال .. فقد
حبس الأماني حابس الفيلِ